الباب الخامس

في تعليم الجمهور

تعليم تلامذة المدارس الاميريه والاهليه

لااريد من ذلك تعليمهم شروط الصلاة واركانها ومفطرات الصيام وغير ذلك من فروع الفقه ولا اريد من ذلك تلقينهم براهين التوحيد اذ ذلك كله لايفيد وحده وانما اريد تنمية الشعور الديني العام وتربية الملكات والوجدانات الاسلامية والاخلاق الدينية وايجاد الداعية للعمل بقانون الدين وايقافهم على حقائقه واسراره وغرس مبادئه الحقه في قلوبهم وحثهم على العمل به واحترامه وحبه اذ هذا متى وجد حملهم من انفسهم على البحث عن معرفة احكام الصلاة وغيرها من مسائل الفقه · اذا تصور خطر على الدين فليكن من جهه تلامذة المدارس الذين يجهلون حقائق دينهم ثم ينشأون على طرائق التمدن الغربي وان تصور قوم يمكنهم ان ينتفعوا بمزاياه فليكن في مقدمتهم هؤلاء التلامذة اذا تربت فيهم ملكة الدين والقيت اليهم تعاليمه الصحيحه

تلامذة المدارس هم الذين سيكونون الطبقه العليا من الامه او هي والتى تليها وهم هم الذين ستكون بايديهم ازمة الامور و يكونون حكام الامه وقضاتها ومديريها ونظارها وغير ذلك . وهم هم الذين سيكونون اهل التأثير واهل التقدم الذين يقلدهم غيرهم فى مشاربهم ومذاهبهم واميالهم فجهلهم بالدين خطر على الدين واي خطر

الخطر الدي يأتي من هذا الجانب شديد جداً وهو يؤثر اكثر من الاحتلال الاجنبي لان الطبقة الراقية متى كانت متمسكة بالدين تضعف كل المؤثرات الاخري

ولكن من المحزن اننا كدنا ان نقع (بل وقعنا) في هذا الخطر بسبب اهمال تعليم تلامذة المدارس حقائق الدين الاسلامي واقناعهم بوجوب التمسك باحكامه . فان اكثرهم كاد يعد امور الدين من الامور الثانوية الشخصية التى تنزل منزلة اتخاذ لون (المصباغ) ابيض او احمر والفكرة التي كادت ان تسود على كثيرين منهم ان الدين غير مطابق للعقل وانه تكاليف شاقة مجهولة المنفعة بل بدأ يدب فى عقول البعض انه ربما كان من الاوهام القديمه والملفقات التي اوجدها بعض الناس لغرض

الاصلاح وردع الناس عن الشر وبالجملة فان كلمة دين وتدين تعطي عند الاكثر معنى غير المعنى الاصلي وهي به عندهم عنوان الانحطاط بل قد تكون موضوع الازدراء والسخرية

لذلك الحال اسباب اولها اهمال تعليمهم وثانياً ميلهم الشديد الى التقاليد الاورباوية التي لم تكن من قبل ووجود فكرة (جديد وقديم وانحطاط وتقدم وبساطة وتمدن) وهذه اقوى المؤثرات على المعنى الديني الثابت عندهم من الاباء والامهات (لا من العلماء) في دور الطفولية. وثالثها خروج من يشتهرون بانهم من رجال الدين (كاكثر اهل الطرق) بالدين عن وضعه وما قصد منه الى اشياء باطلة تضاد الحقائق الثابتة وتضاد الطبع السليم من نحو قول بعضهم ان الاقتراب من المدنية الحديثة يضاد الدين حتى فيما هو منها منطبق على اصوله وقوعده وقولهم ان مذهب اهل السنة ان الارض بسيطه لا كرويه واعتقادهم في الامور الروحانيه الكاذبه وغير ذلك من الموائد والخرافات والاوهام التي لو صح انها من الدين لكان الدين من الاشياء المحقرة الدنيئه التي يجب اهمالها بل الانسلاخ عنها وهذا فضلا عن انحطاطهم في انفسهم

وارتكابهم ما لايليق واتصافهم بالصفات الدنيئه وتمكنهم فى الجهل المطبق

ولقد سمعت ان احد ابناء الطبقة العليا كان من المتمسكين بالدين في صغره وكان له معلم ديني يعلمه ويحثه دائماً على العمل باوامر الاسلام واجتناب نواهيه فذكر له يوماً فى الحث على الغسل من الجنابة ووجوب المبادرة اليه ان الجنب ان ظل جنباً وكان في سفينة غرقت فاتفق ان سافر هذا التلميذ الى اوربا واحتلم في السفينة ولم يتمكن من الاغتسال فصار فى اشد حالات الحزن يتوقع غرق السفينة فلما وصلوا آمنين علم ان ذلك كان كذباً وخامر فكره انه ربما كانت امور الاديان كلها من هذا القبيل وكانت العاقبة انه نبذ العمل بالدين واعتقد ان اكثره من الخرافات الملفقه. ولا شك ان الخطر الذى يأتي من مثل هذا لايقدر فانه فضلا عن ان يفقد الدين اعظم رجاله ونخبة ابناءه فانه ربما افقد البقية الباقية بحكم تأثير القوي على الضعيف والعالم على الجاهل والمتنور على غيره (وان كان هذا التاثير يكون بطيئاً في الامور الدينية الا انه لا بد منه)

كم مرة رأينا قوماً من العمد كان في غاية الصلاح والتقوي فتعلموا شرب الخمر والزنا وسائر الانواع المنكرة بحكم مجانسة بعض الكتبة او مأموري المراكز ومعاونى البوليس مثلاً وكم مرة رأينا كثيراً من هؤلاء الموظفين وامثالهم يهينون الدين والعلماء واهل التقوى و يضطهدونهم ولا يألفون الامن كان على مشربهم حتى اصبح مثل العلماء اليوم واهل الدين كمثل القسس في اوربا مع دعاة التمدن حيث اضطهدوهم بسائر انواع الاضطهاد حتى صار سلطان الدين قاصراً على الكنائس لانهم رأوا القسس عقبة في طريق ترقيهم فهكذا نحن اليوم يرى ابنائنا واخواننا من المسلمين المتعلمين فى المدارس اننا عقبة فى طريق السعادة والمدنية ودعاة الى التوحش والهمجية

و يعتقدون اننا البقية الباقيه من آثار البساطه والعباطه والجهالة الاولى واننا العضو الاشل والامر المشوه للجامعه والطبقه المنحطه التي قد لايرجى منها ولا لها فلاح وسبب هذا كله عدم تعليمهم وسرعه تقليدهم ونقصنا الظاهر واي خطر ومصاب اشد من هذا المصاب الاليم الواقع بين ظهرانينا ونحن لانحس به

ولا نتألم منه ولا يخطر ببالنا كيف الخلاص كانا طبعنا على الهوان والجمود والضعف . في اكثر المدارس حصص دينيه ولكنها مهملة وغير معتنى بها وعقيمة لانها لاتعلم شيئاً مما اردناه من تعليم التلامذة وبيناه اولاً بل هي تختصر على بيان بعض عقائد الدين واحكامه وهذا وحده لايفيد ما لم توجد الداعية القوية والروح الاسلامية العالية. فلذا ارى ان يكون تعليم التلامذة موضع العناية وذلك اما بالسعي وراء ان يقوم به معلموا المدارس على الوجه المطلوب كما ينبغي وان يكون من الواجبات الاولى واما باتقاء فرقة من نبهاء العلماء لمباشره هذا التعليم ومخابرة المعارف فى هذا الشأن لكي يعطي فى كل مدرسة درس او درسان مجاناً اسبوعياً

نشر العلم بين العامة

نشر العلم وتعليم الامه من اول واجبات العلماء فان العالم سراج واذا لم ينتفع بضوء السراج فلا فائدة من وجوده وقد قالوا ان العالم لايكون عالماً حتى يظهر أثر علمه في قومه وقلنا فيما تقدم ان العالم ليس مسئولاً عن نفسه فقط بل وعن عشيرته وامته

ايضاً فمن الواجب عليه ان يعلم و يعظ و يبلغ كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن من الاسف اننا اليوم لانقوم بشيء من امثال ذلك ودليل هذا اجمالاً حال الامم الاسلامية في الجهل والجمود والانحطاط والغباوة وعدم معرفة اسرار الدين ومزاياه وغايته الحقيقية ولا استدل تفصيلا باكثر من بيوت العلماء انفسهم فاننا لو بحثناها وجدناها مناخاً لمكروبات الجهل وجراثيم الاوهام والخرافات والابتعاد عن معاني الدين الحقيقية وكثيراً ما يجري فيها عادات ورسوم منكرة شرعاً و يسود فيها الجهل على مرأى ومسمع من (الشيخ) بدون ان يخطر بباله ان يزيله ولئن خطر بباله فقد لايجد من وسائل الاقناع والارشاد ما يساعده على ذلك لانه لايعرف العلم الا باللسان الفنيّ الصعب العقيم الذي الذي لايناسب عقولهن ولئن ساعدته المقادير ونجح في شيء من ذلك فليكن هو خاصة الصلاة والصيام مثلا دون سائر العادات والاعتقادات السائية القبيحة كأن الفكرة السائدة على عقولنا ان العالم هو الذي يذهب كل يوم الى خاصة الازهر والجامع الاحمدي مثلاً ليعطي درساً هناك بلغة العلوم الخاصة وانه ان

كان في غير العلوم الشرعية كان عنوان التقدم وغزارة العلم اما نحو الوعظ والارشاد فهو مهمل بالمرة وقد كانت نتيجة ذلك موت اكثر العلم الحي النافع المقصود اولا وحصر الباقي في جامعين او ثلاثة او اربعه في القطر كله ثانياً

اما الاول فلان الارشاد والاخلاق الدينيه والدعوة الاسلامية مفقودة بالمرة

واما الثاني فلان الباقي من العلم المتداول لايعلم الا في مصر وطنطا واسكندرية ودسوق ودمياط . وبديهي ان الناس جميعاً لايمكنهم الارتحال الى هذه الجوامع ليتعلموا فيها الدين خصوصاً وتعلم القدر اللازم يحتاج على طريقة هذه المدارس الي سنين عديدة لانه يلزم ان يتعلموا النحو ويتقنوا اصطلاحات العلوم والكتب واساليبها الصعبة .واذا كان الامر كذلك والذين يأتون هذه المدارس لايغرس فيهم ملكة نشر العلم بين اقوامهم سواء كانوا من الواصلين لدرجه العالمية ام لا فكيف يمكن اذاً تعليم الامه وما هو السبيل الى ذلك: ايكون السبيل ترك الناس يهيمون في بيداء جهل الامور الدينيه لكي يستعدوا لاخذ المبادىء

التي ينشرها اليوم دعاة النصرانيه مقرونة بشبه تؤثر على غير المتمكنين فى العلم او لكي يستعدوا لخلع ربقه الدين و يتناسوا تعاليمه وحبه الموروث عن (الآباء والامهات) و يأخذوا باطراف المدنيه البحته الزاحفه جيوشها من اوربا فيكونوا مدنيين بلا دين حقيقي

لاشك ان هذا خطر كبير لايزول الا بنشر العلم وتعليم الناس امور دينهم وذلك فيما اري يكون بالامور الآتيه

اولاً ايجاد الداعية الشديدة للتعليم في العلماء بصنوف المرغبات الدينية والمادية والادبية · ثانياً تعلمهم طرق التأثير على قلوب العامه واقناعهم واستعمال طرق التعليم المناسبه لهم ولعقولهم · ثالثاً اكثار مراكز العلم فى القطر · رابعاً محاولة ان يوجد في كل بلد عالم يقوم بامثال هذه الواجبات ويكون قاضي البلد الشرعي والمعول عليه في جميع الشؤون الدينيه · خامساً تاليف كتب في الفقه والتوحيد والتفسير والاخلاق وجميع المباحث الدينية اللازمة بلهجة واسلوب يناسب العوام و يسهل عليهم فهمه وارى ان يكون هذا باللغة العربية القريبة من العاميه او بالعاميه الصرفه ولا يقول

الناس اني اريد اماتة العربيه . كلا ولكن اريد ايجاد روح الدين وملكاته وعلومه في قلوب الناس فان وجدتْ ان اللغة العربية عقبه في الطريق اهملتها مع علمي وتعليمي انها هي الاولى والواجب ولهذه المناسبه فاني ارى ايضاً ان يؤلف بالعاميه كتاب يدعوا الى تعلم العربيه

سادساً ان يكثر العلماء من زيارة البلاد والسياحه فيها لهذا الغرض ولا يتهكموا بحال مشايخ الطرق في اصل السياحه والانتشار في البلاد فان تلك طريقه دينيه عاليه اصلها ان تكون للعلماء كما ان الاصل ان يكون العالم هو المرشد ولكن انعكس الامر وكان المرشدون والعلماء فرقتين ثم انفرد المرشدون او اهل الطريق بالسياحة واخرجوها عن وضعها من نشر الدين الى ان تكون واسطة من وسايط المعاش

وهنا اراني مضطراً الى ذكر ذلك الحال المخجل والامر الشنيع الذي جرى رسمياً بين العلماء منذ سنتين او ثلاث وهو ان العلماء حاولوا ان يكون لهم جميعاً امتياز السفر على قطارات السكة الحديد بنصف اجرة وكان هذا من قبل خاصاً باصحاب

كساوي التشريف فخابروا الحكومة بواسطة رؤسائهم في ذلك وطلبوا ان يعاملوا معامله القسس فاجيبوا ولكن علي شرط ان يكون السفر (لتعليم الاهالي امور دينهم) كما يفعل القسس وان يستحضروا شهادات بذلك من مشيخة الازهر فكانو كلما سافروا لقضاء اوطارهم الخصوصية سافروا بتلك الشهادات التي صارت قاصرة على مثل هذا السفر ولا اظن انها استعملت فيما وضعت من اجله على حقيقتها مرة واحدة لان ذلك لايخطر على بال احد من علمائنا اليوم وكم مئات من الشهادات صدرت كذباً بهذا المعنى وكانوا يتأولونها بان العالم ربما سأله احد الناس في سفره عن حكم فما اجمد تلك النفوس وما اشدها بعداً عن اللازم . كذبٌ وعدم تأدية للواجب مع وجود المقرعات الشديدة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . ولكن فضيلة الشيخ الحالي السيد علي البيلاوي حين علم بذلك قبل انه ابطل هذه الشهادات فجزاه الله خيراً

البعثات العلمية

ان الخلل والفساد والانحطاط والجمود والجهل والتمسك بالاوهام

الخ الخ وان عمت الامم الاسلامية جميعها فلا شك انها في بعضها اقل منها في البعض وان منها ما حاجته الى الاصلاح اشد من غيره فها هي مراكش مثلا بلغت مبلغاً عظيماً في الجهل والانحطاط الا انها لازالت مستقلة يرجى لها الخير ان هي اصلحت احوالها وفتحت فتحاً علمياً جديداً يبنى على ازاله الاوهام والخرافات السائدة عند الاهالي وبيان حقائق الدين واصوله وما يوافقه من احوال المدنية الحاضرة وما لايوافقه ومن هو المسلم الكامل وما هي الحالة التى ينبغي ان يكون عليها فى العصر الحاضر والتفتت افكار رجالها الى تدارك النقائص المادية والدينية والادبية والنظر في المصالح العامة والشعور بالوحدة وترك الاحقاد والانقسامات والعمل بواجب الاتحاد والاخوة والحرية الدينية والمساواة الخ الخ ولا يمكن ان يقوم بهذا الواجب المهم ويوءثر التأثير المطلوب بالنسبة للعامة والخاصة الا حضرات العلماء اذا انتشروا بينهم وبثو فيهم المبادي الصحيحة وقاموا بواجب النصح والتعليم والوعظ والتنهيض والارشاد الى سائر الكمالات المادية والادبية والدينيه

وكذلك حال جزيرة العرب تلك الجزيرة صاحبة التاريخ

الاعظم ووطن اولئك الرجال العقلاء الذين نهضوا بالامم وفتحوا لهم باب التقدم والترقي واستعمال قوة العقل في ما خلقت لاجله والوصول الى اعلى الغايات واسمى المراتب والتي وصلت من النظام الى حد كانت تقوم معه الظعينة من اطراف اليمن قاصدة مكة ليس معها احد ولا تخاف على شيء قد اصبحت من اسواء الاحوال التي تحزن القلوب وتستنزف الدموع وتوجب التفات سائر العقلاء من المسلمين فضلاً عن كبار علمائهم الى رتق هذا الفتق ومداركة هذا النقص وملافاة هذا العيب الفاضح والخلل الكبير . اي نعم ان حال جزيرة العرب اليوم هو النقص الذي لا يضاهيه نقص والعيب الذي ليس بعده عيب اذ كيف يجوز ان تكون تلك الجزيرة التي منها اشرقت شمس العلوم والكمال على سائر بقاع المسكونة ومنها ظهر الاسلام وعلى يد رجالها فتحت الممالك وانتظمت الاقطار وبلغت الغاية في العلم والمدنية الى مثل هذا الحال من الهمجية والتوحش والانحطاط الى ادنى مراتب الحيوانية البهيمية . كيف يجوز ان تكون باهلها كالوادي المسكون بالحيوانات المتوحشة والكلاب العقورة . كيف

يجوز ان تمثل سلالة العرب اهل الشرف الاعلى والكمالات الكبري واصحاب الفضل على المسلمين في سائر القرى والامصار بل على العالم اجمع الى جاهلية وفساد وانحطاط اكثر مما كانوا عليه قبل الاسلام. كيف يجوز ان يكون مهد الاسلام ومهبط الوحي ومظهر العلم مناخاً للجهل مسكناً للتوحش وما لايمكن ان يصفه الواصفون من النقص الكبير. كيف يجوز ان نترك اخواننا في الدين وسكان الارض المقدسة على مثل هذا الحال السيء والجهل العظيم وفساد الاخلاق الاكبر الذى يجلب العار والشنار على الاسلام والمسلمين اليس حق الاخاء وقانون الدين يوجب على العلماء ان يسعوا في ترقية تلك الشعوب المنتشرة ذات الاستعداد الفطري العظيم تالله ان الجهاد والغزو العلمي والمصابرة على مثل هذا العمل المهم قد يكون افضل من كل عمل حتى من جهاد الكافرين الذي اصبح متعذراً غير معمول به ابداً

أيظن الناس ان حفظ النظام وتقدم العمران وحصول ضمانة السلام والامن على الحجاج يكون بقوة الجيوش ومزيد التنبه الاداري فقط. كلا ان ذلك لايفيد الا بجهد جهيد وحرب

شديد تسيل فيها انهار الدماء ولكن هناك ما يفيد هذه الفائدة ويفيد غيرها من الفوائد العظمى التي لاتحصى وهو الفتح العلمي والتربية الصحيحة ونشر العلوم بين هذه القبائل على اسلوب حسن مناسب. على ان الواجب اليوم ان لاينظر الى الحكام في الاصلاح ما دام امرهم هكذا وآثارهم في ترقية شؤون رعاياهم هو ما نراه باعيننا ويضج العالم اجمع من هوله وقد وصلوا في الاهمال والتراخي الى حد يوجب اليأس منهم وان يقوم العلماء والمسلمون بواجب التربية ونشر العلم فان هذا هو منبع السعاده واساس الاصلاح

ومثل ما يقال عن جزيره العرب العرب يقال عن اكثر الامم الاسلامية خصوصاً في افريقيا وبعض الممالك العثمانية فقد بلغوا من الجهل والانحطاط مبلغاً لايليق بالنسبة للعصور الاولى فضلاً عن هذا العصر عصر العلوم والمعارف فمن الواجب على العلماء ان ينتشروا بين هذه الامم ليرقوها ويوقفوها على الخطط التي ينبغي ان يسلكها المسلمون في هذا العصر الحاضر وليقوموا فيها بواجب التربية والتعليم وليرفعوها من هذه الوهدة

التي سقطت فيها وليأهلوها لان تكون من امم هذا العصر لها ما لها وعليها ما عليها لا من الامم القديمة التي اخنى عليها الدهر وضربت عليها الذلة والمسكنة والاستعباد

وارى ان من اهم الواجبات على اولي الامر واهل الاداره الدينية ان يبعثوا البعوث الدينية العلمية في سائر الممالك والاقطار الاسلامية قياماً بهذا الواجب الجليل وخدمة للامة والملة فان هذا احق ما يتنافس فيه المتنافسون ويتسابق اليه المتسابقون وما يعقله الا العالمون والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الباب السادس

في التعليم الابتدائي

نعني بهذا التعليم تعليم صغار المسلمين وتربيتهم تربية صحيحة عالية تجعلهم من كبار المتنورين العقلاء الاتقياء العاملين لأمري الدين والدنيا . ولا شك ان هذا من اهم المهمات التي ينبغي ان تكون موضع العناية والاهتمام لانه اقوى ضمانة لتكوين امة